مجلة الدراسات الأثرية ISSN: 1111-7699
المجلد: .20العدد: 2022/01/ص ص.:243-261 EISSN2600-6499

مساجد الأحياء بقصبة مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية دراسة تاريخية أثرية

Mosques in the Casbah neighborhoods of Algiers in the Ottoman era, an archaeological historical study

وهيبة خليل*[1]

[1]جامعة يحيى فارس بالمدية wkhelil@yahoo.com

تاريخ الإستلام 2021/11/10 تاريخ القبول 2022/01/31 تاريخ النشر 2022/12/26

الملخص

كان لدخول العثمانيين إلى مدينة الجزائر دورا كبيرا في توسع نسيجها المعماري، فامتدت نحو المرتفعات وأحيطت بأسوار ضمت بداخلها مجموعة من العمائر، من بينها الدينية والمتمثلة في المساجد، التي أصبحت أكثر انتشارا في العهد العثماني، وذلك راجع إلى طبيعة الحكم السياسي العثماني الذي شجع ظهور المساجد، فقد لعبت المؤسسة دورا هاما في المجتمعات آنذاك، وتوسع نشاطها، وأصبحت مركزا للإشعاع العلمي، ونشر الثقافة الإسلامية، حيث ضمت المدينة عددا كبيرا من المساجد اندثر الكثير منها، ولم يبق منها إلا القليل، ومن بين هذه المساجد المتبقية مساجد الأحياء بقصبة مدينة الجزائر وعددها ثلاثة وهي (مسجد سيدي محمد شريف، مسجد سيدي عبد الله، مسجد سيدي بن علي)، وهي موضوع بحثنا والتي سنقوم بدراستها من الناحية التاريخية والأثرية.

الكلمات المفتاحية: مساجد الأحياء، الفترة العثمانية ، مدينة الجزائر.

Abstract

The arrival of the Ottomans in the city of Algiers produced a large construction movement, among the buildings constructed there are religious buildings including the Zawiya and the mausoleums, the latter which became more widespread in the Ottoman Empire, these institutions played an important role in the Algerian community, in Algiers many of them have disappeared, in this article we will focus on three mausoleums one is dated to the Zirid era, (the tomb of Sidi Ramadan), the two others are dated to the Ottoman period the mosque of Sidi Ben Ali, and M. Hilal), and Zawiya Ottomane (Sidi Mohamed Sharif, Sidi Abd el ala, sidi ben ali) which includes his tomb, which is celebrated throughout the territory Algerian.

Keywords:05: Neighborhood mosques, the Ottoman period, the city of Algiers

* المؤلف المرسل

مقدمة

تعتبر المساجد من أهم المؤسسات الدينية في الجزائر، ويعود انتشار المساجد في العالم الإسلامي إلى العهود الأولى لانتشار الإسلام، فهي أهم وسيلة وأسلم مكان وأفضل بقعة ينطلق منها العلماء وطلاب العلم لتوجيه الناس وتعليمهم وتفقيههم، وحل مشكلاتهم، وأول عمل قام به الرسول صلى الله عليه وسلم بعد هجرته من مكة إلى المدينة المنورة هو بنائه للمسجد النبوي الشريف، فهو رمز للإسلام والمسلمين، ولهذا كان المسجد منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم هو المكان الذي يصدر عنه كل أمر ذي بال يهم المسلمين في دينهم ودنياهم، وقد كان العلماء والولاة هم الذين يتصدرون الأمة من خلال المسجد، والملاحظ أنها أصبحت أكثر انتشارا في العهد العثماني، وذلك راجع إلى طبيعة الحكم، حيث أن سياسة العثمانيين كانت تشجع ظهور المساجد، مما جعل المؤسسة تلعب دورا هاما في المجتمعات آنذاك، فعند دخول العثمانيين إلى مدينة الجزائر توسع نسيجها المعماري، فامتدت نحو المرتفعات وأحيطت بأسوار ضمت بداخلها مجموعة من العمائر، من بينها الدينية والمتمثلة في (المساجد)، حيث ضمت المدينة عددا كبيرا من المساجد اندثر الكثير منها، وبالاعتماد على المخلفات الأثرية الباقية ومن خلال الإحصاء الذي قمنا به فان ما نملكه ماديا ومازال باقيا إلى يومنا هذا هو عشرة مساجد منها المساجد الرئيسية التي تقام فيها صلاة الجمعة والصلوات الخمسة وهي (جامع صفر، جامع كتشاوة، جامع علي بتشين، الجامع البراني، جامع جديد)، أما مساجد الأحياء التي تقام فيها الصلوات الخمسة فقط فهي ثلاثة مساجد وهي (مسجد سيدي محمد الشريف مسجد سيدي بن علي، مسجد سيدي عبد الله)، ويوجد مسجدين تابعين إلى قلعة الجزائر وهما (مسجد الجيش، مسجد الداي)، ولا يصلا فيهما حاليا، وموضوع بحثنا كما ذكرنا سابقا خصصناه لمساجد الأحياء وعددها ثلاثة، مجودة بأحياء القصبة، يصلي فيها السكان القاطنين أو العاملين بالحي، تكون بأحجام صغيرة، سنتطرق إليها من الناحية التاريخية والأثرية ووفق تسلسل كرونولوجي، مع ذكر الوصف المعماري والنظام التخطيطي والقيمة الفنية لهذه المساجد من داخلها وخارجها ووظيفتها السابقة والحالية، فماهو الطراز السائد في عمارة هذه المساجد؟ هل هو الطراز المغربي الجزائري أم الطراز العثماني؟

1 مفاهيم حول المسجد:

1.1 المسجد لغة:

إن تحديد المفهوم اللغوي للكلمة من فعل سَجَد – خضع وانحنى إلى الأرض، وسجد يسجد سجودا، أي وضع جبهته على الأرض،[1] والمسجد بالفتحة جبهة الرجل حيث يصيبه السجود، [2]والمِسجد بكسر الميم هي الحصير الصغير.[3]

أما ابن منظور، فيقول: بأن فعل سجد، بمعنى خضع، ومنه سجود الصلاة، ولا خضوع أعظم منه، لذلك جاءت كلمة السجدة بكسر السين، وسورة السجدة بفتح السين، والمكان الذي يؤدى فيه السجود يطلق عليه كلمة مسجد،[4] ومنه الآية الكريمة: " يتفيأ ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون".(*)

---

[1] – محب الدين مرتضي الزبري، **تاج العروس**، تحقيق علي يسرى، دار الفكر، بيروت، 1994، ص165– 167.

[2] – الزركشي،(1995)، إعلام الساجد بأحكام المساجد، ، تحقيق أيمن صالح شعبان، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت الزركشي، **إعلام الساجد بأحكام المساجد**، ، تحقيق أيمن صالح شعبان، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995، ص13..

– أبو الحسن بن عبد الله العسكري، **كتاب التصحيف والتحريف وشرح ما يقع فيه**، ج1، القاهرة، 1808، ص137.[3]

[4] - ابن منظور، **لسان العرب**، ج4، طبعة بولاق،، ط18، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والإنشاء والنشر، القاهرة، 1900، ص187–188.

2.1 المسجد شرعا (اصطلاحا):

أما من حيث المفهوم الشرعي فهو كل موضع من الأرض لقوله صلى الله وسلم " جعلت لي الأرض مسجدا ".[5] والمسجد جمعه مساجد وهو عموما كل مكان يسجد ويتعبد فيه وهو من الألفاظ الإسلامية التي لم تعرفها الجاهلية وهو يدل على مصلى الجماعة،[6]حيث ذكر المسجد والمساجد والمسجد الحرام في القران الكريم بلفظها ثمانيا وعشرين مرة.[7] كما روى أهل الحديث مجموعة من الأحاديث عن رسول الله صلى الله عيه وسلم تتناول موضوع المساجد وفضلها وأحكامها، حيث أورد الزركشي العديد منها في كتابه "إعلام الساجد بأحكام المساجد".[8]

3.1 المسجد عمارة:

لقد عرفت عمارة المسجد تطورا كبيرا منذ التخطيط الأول لمسجد الرسول صلى الله عليه وسلم، الذي كان بسيطا في تخطيطه وعمارته، وحتى عناصره المعمارية، لان المسلمين كانوا منشغلين بالفتوحات الإسلامية، ولكن مع تطور العمارة أدخلت على المساجد عناصر معمارية جديدة أخذت فيما بعد أهمة كبرى كالمحراب، وبقربه المنبر، ومقصورة الخليفة، أو الإمام التي ظهرت فيما بعد، والمئذنة التي لم تكن معروفة في جامع الرسول صلى الله عليه وسلم، والقبة، والصحن، والميضأة، وكانت بيوت الصلاة تحمل سقوفها على عقود ترتكز على أعمدة ودعامات، ثم أدخلت عليه زخارف رائعة من كتابات، وزخارف نباتية، وهندسية، حتى اتخذ المسجد الصورة التي لا يمكن للعين أن تخطئها، وبذلك اعتبر رمزا من رموز المدينة الإسلامية والقلب النابض لها.[9]

2 الدراسة التاريخية والأثرية لمساجد الأحياء:

من خلال البحث والإحصاء الذي قمنا به لمساجد مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية انحصر لنا أن التراث المعماري بمدينة الجزائر غير كامل، ليس لأن مدينة الجزائر فقيرة في هذا النوع من المباني ولكن الفرنسيين هدموا عددا هائلا من المساجد استنادا إلى الباحثين الغربيين، سواء المبنية بطراز مغربي مثل جامع القشاش الذي احتوى على بيت صلاة قائمة على أعمدة ومغطاة بالقرميد، أو ذات طراز عثماني مثل جامع السيدة، وهذا لقطع الصلة الحضارية التي تربط الجزائر بالخلافات الإسلامية السابقة.

واستنادا إلى الإحصائيات التي قام بها هايدو (Haedo) عام 1612م، فقد كانت مدينة الجزائر تضم مائة مسجد،[10] لكل واحد منها إمام يصلي بالناس حسب مواقيت الصلاة،[11] أما دوفو والذي بحث في موضوع المؤسسات الدينية بمدينة الجزائر قال أنه كان يوجد بها سنة 1246هـ/1830م، ثلاثة عشر جامع كبيرا ومائة وتسعة مساجد، واثنان وثلاثون قبة

---

*- سورة النحل، الآية 48.

5 - الزركشي ، المصدر السابق، ص27-28.

6 - عبد الرحيم غالب، المرجع السابق، ص381.

7 - حسن مؤنس، "**المساجد**"، عالم المعرفة، عدد37، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1981، ص11.

8 - الزركشي، المصدر سابق، ص28.

9- نفسه، ص191.

10- Berque (A), **L'Algérie terre d'art et histoire**, Alger, 1937, p.226.
Haedo (D), **Topographie et histoire générale d'Alger**, Edition Bouchene, 1998, p207.

أو ضريحا، واثنا عشر زاوية، فمجموع ما فيها من المؤسسات الدينية هو مائة وستة وسبعون مؤسسة.[12] أما فونتير دي بردي (De paradis Venteur) فيذكر أنه كان بالمدينة خلال القرن الثامن عشرة، اثنا عشرة مسجدا جامعا، والعديد من المساجد ،[13] ويقول الدكتور شاو (Shaw) "...لا يوجد بالمدينة ساحات وحدائق، ونجد عشرة مساجد كبيرة وخمسين مسجدا صغيرا، وثلاث مدارس كبيرة، وعددا كبيرا من المدارس الصغير..."[14]، وانطلاقا من تقرير وضع من طرف السلطات الفرنسية سنة 1833م حول المؤسسات الدينية في مدينة الجزائر ذكر فيها الجامع والمسجد، حيث تم إحصاء ثمانية عشر جامع للخطبة، من مئة مؤسسة دينية ذكرت في التقرير من مساجد وجامع وزوايا،[15] وهناك الكثير من المؤلفين الغربيين يشير إلى هذه المساجد مع اختلاف عددها، وبالنسبة إلى مساجد الأحياء فقد هدم الكثير منها أيضا فبقيت ثلاثة مساجد سبق ذكرها سنقوم بدراستها من الناحية التاريخية والأثرية والمعمارية، والملاحظ أن معظم المساجد بنيت أو جددت من طرف حكام مدينة الجزائر، وحملت في بعض الأحيان أسماءهم، مثل عبدي باشا، وهذا من خلال الكتابات الأثرية أو من خلال الوثائق، وهذا لخدمة العلم والدين، أو من باب التباهي والشهرة أيضا، كما أن بعض المساجد كانت تسمى باسم الأولياء الصالحين مثل مسجد سيدي محمد الشريف، أو تنسب إلى الأحياء الواقعة فيها أو السوق القريب منها، أو المحلات، مثل مسجد حوانت سيدي عبد الله، وقد كانت المساجد المبنية قبل الفترة العثمانية تابعة للمذهب المالكي، وبعدها أسس العثمانيون مساجد تابعة للمذهب الحنفي في الفترة العثمانية، لان الأتراك يتبعون المذهب الحنفي، وأول مسجد بني في الفترة العثمانية للمذهب الحنفي هو مسجد سفير (صفر)،* وكانت المؤسستين الوقفيتين سبل الخيرات، ومؤسسة أوقاف الحرمين الشريفين، تصرف على مساجد المذهب الحنفي، إضافة إلى أوقاف الأولياء وأهل الأندلس التي تصرف على المذهبين،[16] وكانت مساجد الأحياء صغيرة وبسيطة مبنية بالجير والحجارة، وقائمة على دعائم (عرصات) ضخمة ومآذن منخفضة، مع قليل من الإضاءة الخارجية، وتحتوي على فرش بسيط من الزرابي أو الحصير، ولكل مسجد إمام يصلي بالناس حسب مواقيت الصلاة، تم بناؤها من طرف سكان المدينة والأتراك.[17]

1.2 مسجد سيدي محمد الشريف:

1.1.2 تاريخ البناء:

لم نتمكن من معرفة تاريخ بناء المسجد لكن من المحتمل أنه بني بعد عام 948هـ/1542م، وهو تاريخ وفاة الولي سيدي محمد الشريف الزهار، وهو محمد بن أحمد بن عبد الله، ينتهي نسبه إلى علي بن أبي طالب،[18] كان من تلامذة

12 - Aumerat, « **la propriété urbaine a Alger** », in revue africain, n41, office des de publications universitaires, Alger, 1897, p.327.

13- Venture de Paradis, **Alger au XVIIIéme siècle**, édité par E. Fagnan, Alger, 1898, p.157.

14 Shaw (T), **Voyage dans la régence d'Alger**, Paris, 1830, pp.293-294.

15 - Aumerat, op cit,N42, p.177.

16 - سعد الله أبو القاسم، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1998، ص204.

17 - Haedo (D), op cit, p.207,

أنظر أيضا: سعد الله أبو القاسم، المرجع السابق، ص255.

18 - أبو أبو القاسم محمد الحفناوي، **تعريف الخلف برجال السلف**، ط02، المكتبة العتيقة، تونس، 1985، ص476.

الولي أحمد بن يوسف الملياني[19]، قال عنه علي بن أحمد بن موسى صاحب مخطوط ربح التجارة[20]:"...كان رضي الله عنه من الأولياء الواصلين والأحبة المقربين ممن كاشف الله بالسراء وأنطقه بالحقائق والأنوار وقد اشتهر ذكره في الأقطار وبلغ أمره أمواج البحار وله الكرامات العديدة والخوارق العجيبة..."[21]والكتابة الموجودة عند مدخل الضريح تشير إلى أن حفيده هو الذي قام ببناء الضريح، ثم ألحقت به بعض المرافق كالمسجد، وغرف السكن، وغيرها [22] وبقيت وكالته في أسرة الزهار*، وقد ورد في الكتابة مايلي:" توفي الشيخ المبارك السيد محمد الإمام الشريف العفيف سنة 984هـ أربعين مع ثمانية وتسعماية، فخذ برسم حسابيه كان التاريخ وكان الوصيد بأمر الملك المجيد، عن يد سبط سبطه تأبد الله الزهد مرقي الرتبة إلى المقام على العز في دار السلام"[23]، يقع المسجد بملتقى الطرق في منطقة الجبل قرب جامع صفر[24]، وهو مسجد مالكي، بمنارة ودهليز به قبور وغرفتين أحدهما تحوي ضريح ابن محمد الشريف، والغرفة الثانية عبارة عن مقر لوكيل الضريح[25]، كما تضم هذه الزاوية مقبرة، وثلاث غرف للسكن، وهي محل للدراسة والتعليم، ويقام كان يقام فيها درس في التوحيد في ليالي رمضان، تحتوي على ساحة بها عدة قبور، كما تضم مراحيض وأماكن للوضوء وبيت مربع الشكل مزين ببعض الأعلام، وداخله قبر الولي، يعلوه تابوت غير مزخرف، [26]وقد قام الاستعمار الفرنسي بغلق الزاوية سنة 1830، ومنع الدفن بمقبرتها، ثم أعيد فتحها وبنيت بقربها مدرسة، وبقيت بيد وكيلها الذي هو من أحفاد محمد شريف الزهار.[27]

2.1.2 وصف المسجد:

المسجد له شكل غير منتظم يقترب من الشكل المستطيل وهو ذو عمق أقل من العرض، تتألف بيت الصلاة من أسكوبين وأربعة بلاطات تؤلفها ثلاثة بوائك موازية لجدار القبلة، كل بائكة تضم أربعة عقود متجاوزة منكسرة، تقوم على ثلاثة أعمدة، وتوجد بالمسجد "سدة" على مستوى البلاطة الثانية والأسكوب الموجود أقصى يسار المحراب يصعد إلى هذه السدة عن طريق سلم مصنوع من الخشب مكون من ستة درجات، وتقع المئذنة على يمين المحراب متصلة بالجدار المجاور لجدار القبلة، وهي مثمنة وقليلة الارتفاع، ولهذا المسجد صحن من الجهة الغربية، يأخذ مكانا على يمين بيت

---

[19] - أبو العباس أحمد بن يوسف الراشدي الملياني، من أشهر مشايخ الصوفية بالجزائر ولد حوالي سنة 840 هـ/ 1437 م بقرية رأس الماء قرب قلعة بني راشد المعروفة أيضا بقلعة هوارة، التابعة آنذاك للدولة الزيانية بأراضي المغرب الأوسط، وهي تابعة حاليا إلى ولاية غيليزان. انظر: عبد العزيز فيلالي ، تلمسان في العهد الزياني ، ج1 ، موفم للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2002 ، ص71-72

[20]- علي بن أحمد بن موسى، **ربح التجارة ومغنم السعادة فيما يتعلق باحكام الزيارة**، مخطوط تحت رقم 3251، المكتبة الوطنية بالحامة، الجزائر، ورقة 02.

- علي بن أحمد بن موسى، المصدر السابق، ورقة 78.[21]

[22] - Devoulx(A**), Les édifices religieux de l'ancien Alger**, Alger (S.D.), p.184.

*- عائلة الزهار: هذه العائلة كانت معروفة بمدينة الجزائر، ومن بينها أحمد شريف الزهار صاحب كتاب "مذكرات أحمد شريف الزهار".

[23] - Colin (G), **Inscriptions arabes et turques de l'Algérie**, I, département d'Alger, paris 1901, p18.

[24] - يقع جامع صفر بحي الجبل بمدينة الجزائر، بناه القائد صفر سنة 940هـ/1534م،

[25] - سعد الله ابو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، ص120.

26- Klein (H), **Feuillets d'el-Djezair**, v03, éditeur Alger , 1912, pp. 28-29

[27]- ياسين بودريعة، أوقاف **الاضرحة والزوايا بمدينة الجزائر وضواحيها خلال العهد العثماني من خلال المحاكم الشرعية وسجلات بيت المال والبايلك**، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر02، السنة الدراسية 2007/2006، ص45.

الصلاة بمساحات صغيرة وهي مستطيلة الشكل، يحتوي المسجد على مدخل واحد فقط نظرا لحجمه المتواضع، أما النوافذ فهي قليلة العدد ومرتفعة نسبيا. (شكل01) (صور02،01)

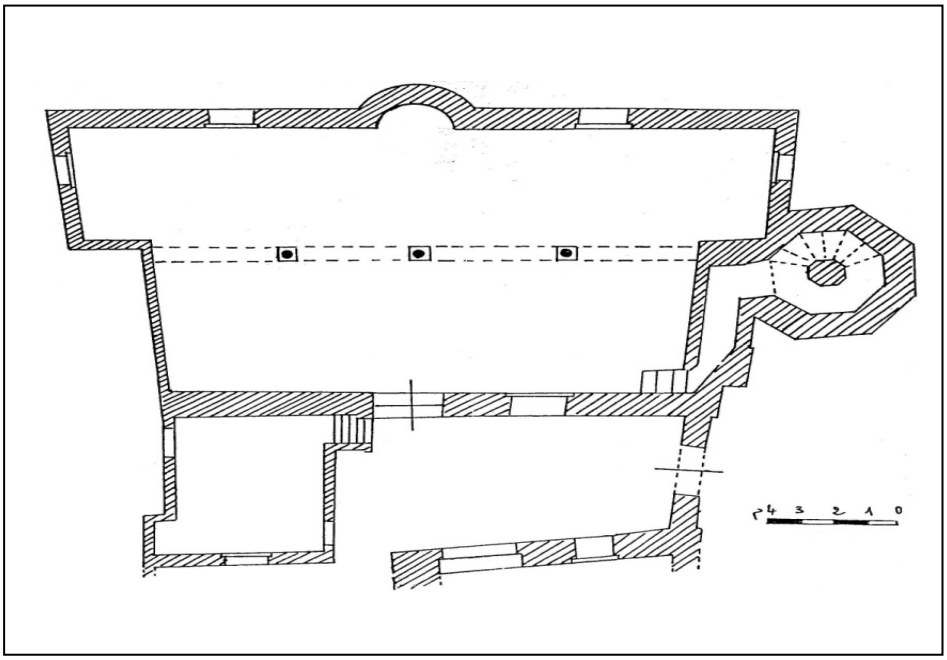

الشكل01: المخطط العام للمسجد عن: (Devoulx)

الصورة01: بيت صلاة المسجد عن: الباحثة

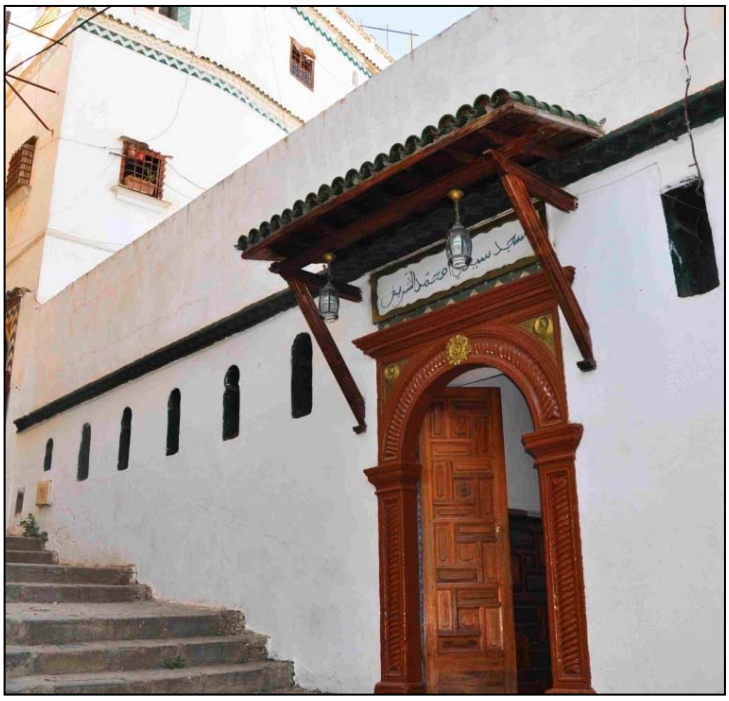

الصورة 02: مدخل المسجد وواجهته عن: الباحثة

3.1.2 المئذنة والمحراب:

اتخذت المئذنة شكلا مثمنا من قاعدتها إلى غاية انتهاء بدنها وهي في غاية البساطة وعلى ارتفاع متواضع جدا، وما يميزها هو الجوسق المثمن الذي تعلوه قبيبة، ملئ الجزء الذي تعلوه الشرفات الثمانية بمربعات من البلاطات الخزفية، وضعت بطريقة تتناوب فيها القطع البيضاء مع القطع السوداء لتعطي في الأخير زخرفة شطرنجية جد جميلة، ولها نواة مربعة مملوءة تدور حولها السلالم، ولقد استعمل الآجر الممزوج بالحجر المدموك وكذلك الملاط في بناء هذه المئذنة كما استعين أيضا بالعوارض الخشنة لتدعيم هذه الوحدة المعمارية، أما المحراب فيتخذ الشكل النصف الدائري، يعلوه عقد حذوي، ولا تزينه بلاطات خزفية. (الصورة 03، 04)

الصورة03: مئذنة المسجد عن: الباحثة

الصورة 04: محراب المسجد عن: الباحثة

4.1.2 الأعمدة: يوجد بهذا المسجد نوع واحد من الأعمدة، وهي أعمدة أيونية، وتتكون من القاعدة، حيث يوجد بهذا المسجد البسيط نوع واحد من القواعد أيضا، ترتفع عن مستوى الأرضية ب 16سم وتنقسم إلى ثلاثة أجزاء، وهي من الأسفل إلى الأعلى مربعة بعلو 10سم، ودائرة بعلو 4سم، ودائرة أصغر بعلو 2سم، كما نجد أيضا قواعد مجزأة إلى ثلاثة أجزاء دائرية يتقلص ارتفاعها وقطرها كلما علت، أما الأبدان فهي دائرية الشكل يبلغ طولها 1.40م وقطرها 65سم، وفيما يخص التيجان فنوع بسيط يتكون من أجزاء مربعة أو دائرية منتفخة متراصة فوق بعضها البعض. (الصورة 05)

الصورة 05: أعمدة المسجد عن: الباحثة

5.1.2 التسقيف المستوي:

نجد هذا النوع من التسقيف في مساجد مدينة الجزائر وذلك بالمساجد القائمة على الأعمدة، حيث نجد هذا النوع في مسجد سيدي محمد الشريف على شكل أوتاد خشبية منتظمة متشابهة للتي نجدها بمنازل هذه الفترة وهي بسيطة جدا وخالية تماما من الزخرفة وبعيدة عن التسقيف الذي كان سائدا بالمغرب الإسلامي والذي امتاز بالزخارف. أما بالنسبة للزخارف، فالمسجد يفتقر للزخارف بأنواعها إلا ما احتوته المئذنة من بلاطات خزفية ذات أشكال هندسية مربعة.

2.2 مسجد سيدي بن علي:

سمي بهذا الاسم نسبة إلى الشيخ محمد بن محمد بن علي، وهو عالم جزائري شهير، من الكراغلة، تولى الإفتاء الحنفي من سنة 1150هـ إلى سنة 1169هـ .[28] وضريحه موجود بساحة المسجد بمحاذاة مقبرة الأميرات.* والمسجد يقع بنهج

[28]- نور الدين عبد القادر، المرجع السابق، ص169.

*- سميت بمقبرة الأميرات لأنه دفن فيها ابنتي حسين داي آخر دايات الجزائر، نفيسة وفاطمة، وتقع بمحاذات الضريح في ساحة المسجد، أنظر: Klein (H), **Feuillets d'el-Djezair**, v03, éditeur Alger , 1912, pp. 30.

نفيسة وهي بنت الداي حسين باشا، يعود إلى الفترة العثمانية أما تاريخ تأسيسه فهو غير معروف، يصعد إليه بدرج من زنقة نفيسة وليست له مئذنة وجعلوا منه مدرسة قرآنية منذ زمان بعيد لم نستطع الدخول إلى المسجد لأنه مغلق منذ سنة 1994م لأسباب أمنية.(الصورة 06)

الصورة 06: مدخل باب مسجد سيدي بن علي عن: الباحثة

3.2 مسجد سيدي عبد الله:

سمي بهذا الاسم لكونه يقع بالقرب من مجموعة من المحلات بهذا الاسم، وقد عرف عند السكان بمسجد حوانت سيدي عبد الله، وأما تسميته السابقة فقد كان يدعى بمسجد الشيخ سيدي شعيب، وهو ولي من الأولياء كانت له خلوة تقع على شارع تومبكتو، وقد احتفظ هذا المسجد بهويته ووظفته وأخذ رقم 32 ثم 17 من شارع عبد الله،[29] ، ولم نتمكن من معرفة هذا الرجل الصالح ومن ثم معرفة تاريخ تأسيس هذا المسجد. (الصورة 07، 08)

[29] - Devoulx (A), Op.Cit, p 216-217.

الصورة 07، 08: مسجد سيدي عبد الله خلال فترة الاحتلال الفرنسي وحاليا

عن: موقع gallica /الباحثة

1.3.2 وصف المسجد:

تخطيط المسجد غير منتظم ذو عمق أقل من العرض وهو يشبه مسجد سيدي محمد الشريف تنحرف أضلاعه في بعض الأحيان ويقترب من الاستدارة أحيانا أخرى، وهو ذو أبعاد صغيرة جدا، تتألف بيت الصلاة من أسكوبين وأربعة بلاطات تؤلفها ثلاثة بوائك موازية لجدار القبلة، كل بائكة تضم أربعة عقود متجاوزة منكسرة، تقوم على ثلاثة أعمدة، وتوجد بالمسجد " سدة" على مستوى البلاطة الثانية والأسكوب الموجود أقصى يسار المحراب، يسعد إليها عن طريق سلم مصنوع من الخشب مكون من خمسة درجات، يحتوي المسجد على مدخل واحد نظرا لحجمه المتواضع، وبالنسبة للنوافذ فنجد أن الإضاءة بالمساجد العثمانية في الجزائر قليلة جدا خاصة مساجد الأحياء فمسجد سيدي عبد الله كان خال من النوافذ ولا يستمد الإضاءة إلا من المدخل، غير أنه فتحت له نافذتين منخفضتين بجانب المدخل عند عملية الترميم التي أجريت عليه فيما بعد. (الشكل02) (الصورة 09، 10، 11)

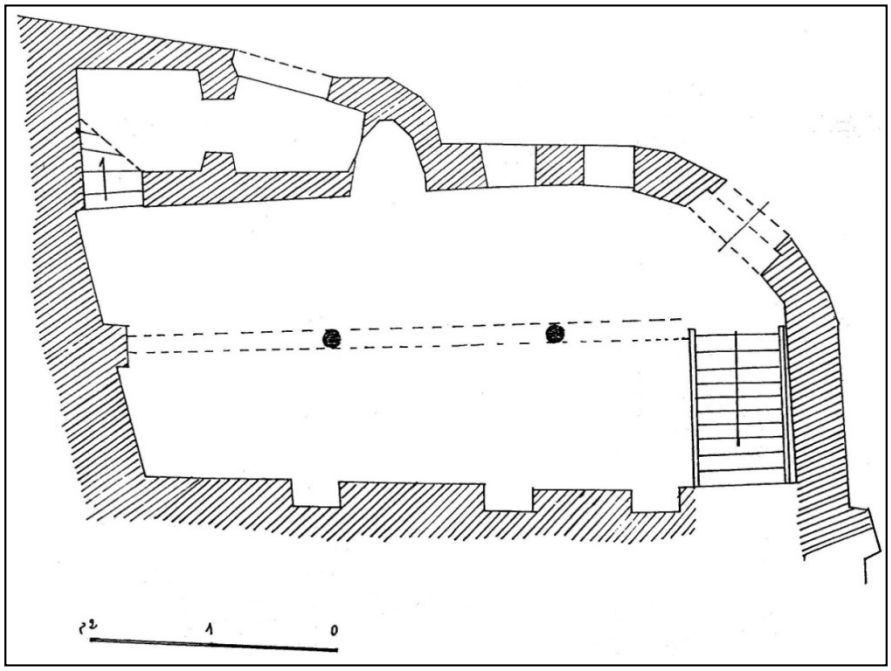

الشكل02: المخطط العام للمسجد عن: (Devoulx)

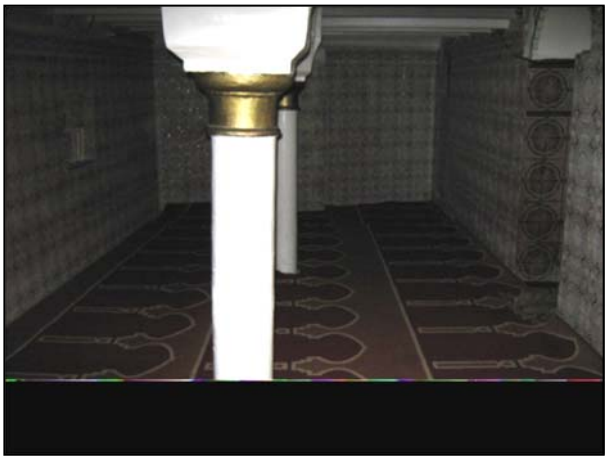

الصورة 09، 10: بيت الصلاة وسدة مسجد سيدي عبد الله عن: الباحثة

الصورة 11: المدخل الرئيسي للمسجد عن: الباحثة

2.3.2 المئذنة:

بنيت في الركن الشمالي الغربي من المسجد وهي مربعة الشكل تتبع في ذلك نفس النظام السائد في المآذن المغربية، ارتفاعها حوالي 21.5م، وهي مكونة من قسمين، قسم يضم بدن المئذنة والقسم الآخر يضم رأسها، فبدنها يتكون من ثلاثة أجزاء، ويفصل كل جزء عن الاخر بروز، الجزء الأسفل يضم باب المئذنة وهو خال من الزخرفة، يليه جزء آخر عبارة عن مستطيل حفر فيه زخارف هندسية، كما زين آخر البروز ببلاطات خزفية ذات زخارف هندسية باللون الأخضر والأبيض والأصفر، والجزء الثالث مستطيل شكل له نفس مواصفات الجزء السابق.

أما القسم الثاني فيتكون من رأس المئذنة، ويضم ثمانية شرافات يليها الجوسق ذو الشكل أو المسقط المربع، حيث يحتوي على عقد في كل ضلع، زينت الأجزاء العلوية منه ببلاطات خزفية، ويعلوه قبيبة تتوجها ثلاث تفافيح معدنية. (الصورة 12، 13) أما المحراب فهو ذو شكل مضلع بسبع تضليعات، يعلوه عقد نصف دائري مفصص، وهو مكسو ببلاطات خزفية حديثة. (الصورة 14)

صورة 12، 13: مئذنة المسجد وبابها عن: الباحثة

الصورة 14: محراب المسجد عن: الباحثة

3.3.2 الأعمدة:

يوجد بهذا المسجد نوع واحد من الأعمدة، وهي أعمدة أيونية، وقواعدها اتخذت شكل واحد، وهي مجزأة إلى ثلاثة أجزاء يتقلص ارتفاعها وقطرها كلما علت، أما الأبدان فهي دائرية الشكل يبلغ طولها1.36م، وقطرها0.62م، أما التيجان فهي ذات نوع بسيط يتكون من أجزاء دائرية منتفخة ومسطحة متراصة فوق بعضها البعض. كما يفتقر المسجد إلى العناصر الزخرفية بأنواعها إلا ما احتوته المئذنة من بلاطات خزفية ذات أشكال هندسية.

3 دراسة تحليلية للمساجد المدروسة:

من خلال دراستنا لمساجد الأحياء بقصبة مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية اتضح لنا أن التراث المعماري بمدينة الجزائر اندثر معظمه، ولم يبق منه إلا القليل بسبب هدم الفرنسيين لعدد كبير من المعالم الدينية، ومن بينها مساجد الأحياء، و لكن الباحث والمتفحص لما تبقى من هذه المباني التي مازالت قائمة سيلاحظ أن هناك ارتباطا وثيقا بين الطراز السائد في الجزائر والطراز المغربي والعثماني، فتبين لنا أن المعماريين الذين بنوا مساجد مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية كانوا على علم بآخر المستجدات والابتكارات المعمارية التي أتى بها المعماريون، فقاموا بتوظيفها لكن بصفة مختلفة بحيث تظهر إرادة التغيير والتميز بوضوح كما يظهر الميل إلى توظيف الإرث المغربي بوضوح آخر، هذا التغيير والتمييز ليس اعتباطيا وإنما هو نتيجة لعوامل سياسية و اقتصادية ودينية وثقافية.

كما نستخلص من البحث أن الوجود العثماني بمدينة الجزائر غير الكثير من الخصائص المعمارية التي كانت سائدة بالمغرب الأوسط، ونستشف ذلك من خلال المسجدين المدروسين، لان مسجد سيدي بن علي لم نستطع الدخول إليه كما ذكرنا سابقا، إلا ما لاحظناه من خارجه، فهناك خصائص مشتركة تجمع بينها، وأخرى مختلفة نلخصها في مايلي:

– طراز المساجد القائمة على الأعمدة هو استمرارية للمساجد المغربية، لأنها ذات أصل عريق استمر في الوجود، هذا الطراز نجده في أغلب المساجد العثمانية بمدينة الجزائر ومن بينها مساجد الأحياء المدروسة والمتمثل في مسجد سيدي عبد الله، ومسجد سيدي محمد شريف، وتتميز المساجد القائمة على الأعمدة بالبساطة أيضا، فكلها مستطيلة أو تقترب من الاستطالة، يختفي الصحن بمسجد سيدي عبد الله، ويظهر في مسجد سيدي محمد الشريف، لكنه اتخذ وضعية ثانوية إذ نجده يأخذ مكانا على يمين بيت الصلاة بمساحة متواضعة وهو مستطيل، ومن المعروف أن تخطيط أي مبنى يخضع لعوامل عديدة اقتصادية منها أو اجتماعية، ويضل المناخ عاملا أسياسيا آخر له دوره الكبير في التكوين المعماري لكل مبنى، وما الصحون إلا دليل على هذه الأهمية والدور الأساسي لهذا العامل، كما تختفي أيضا المجنبات ومؤخرة المسجد في كلا المسجدين.

– لا يكاد يخلو أي مسجد من مئذنة، بل أن هذه الأخيرة أصبحت المعلم البارز والدال على انتماء المبنى إلى الدين الإسلامي بشموخها وعلوها وكأنها تشير إلى وحدانية الله، والمآذن الموجودة في المسجدين المدروسين ما هي إلا استمرارية للنمط المغربي المتمثل في المآذن المربعة، واشتقاق للمآذن العثمانية المضلعة، فالمئذنة المربعة نجدها بسيدي عبد الله، والمثمنة في مسجد سيدي محمد الشريف، ولكن عند المقارنة نلاحظ أن هذا الاشتقاق لم يتعد الشكل المضلع

لها، فالمآذن العثمانية المثمنة تقوم على شكل مثمن وتستمر على هذا الشكل وتضيق إلى غاية الأعلى، كما أنها مغلقة وليس لها سطح أو شرفة، بينما المآذن الجزائرية في العهد العثماني يظهر بها التأثير المغربي في الجزء الأخير منها بحيث يعلوها سطح به شرفة مثمنة يعلوها جوسق مثمن ينتهي بقبيبة، وهذه التشكيلة لا نجدها في مآذن تركيا وهذا ما لاحظناه في كلا المسجدين،كما اتخذت المآذن الجزائرية في الفترة العثمانية من المآذن الزيانية نموذجا لها من حيث شكل البدن والجوسق، لكنها لم تتخذ نموذجا لها من حيث الزخرفة مما جعلها بسيطة جدا، ونتوصل إلى أنه رغم بساطة المآذن فهي في ذاتها حلول معمارية درست في إنشائها المآذن العثمانية والمغربية في آن واحد ومزجت بينهما، وهذا الاستنباط لم يكن عشوائيا، بل روعي فيه تلاءم المئذنة مع الشكل العام للمبنى، فكانت بذلك متوسطة أو صغيرة الأبعاد تبعا لمساحة المسجد، وكونت في الأخير طرازا جزائريا ينفرد بمميزات خاصة به لا نجدها في أي بلد إسلامي آخر.

– إن المداخل في أي مبنى تخضع لعوامل عدة أهمها مساحة المسجد وموقعه من العمران، وكذا المواد التي تبنى بها، فبمساجد أحياء قصبة مدينة الجزائر تلاءمت المداخل مع التركيبة العامة للمبنى، إذ أنها تتسم بالبساطة والأناقة في آن واحد، لكن الملاحظ أن جوامع ومساجد الأحياء كلها تحتوي على مدخل واحد فقط نظرا لحجمها المتواضع وهذا ما رأيناه في المساجد الثلاثة المدروسة، أما المساجد الأخرى الرئيسية بمدينة الجزائر فقد تنوعت بها المداخل بين الرئيسية والجانبية.

– يعد المحراب تجويفة يستدل منها على اتجاه القبلة، ولقد ظهر هذا العنصر المعماري مبكرا في العمارة الإسلامية، واستمر فيما بعد حتى أصبح مع الوقت ضرورة معمارية لا غنى عنها، فلقي بذلك اهتماما بالغا سواء من حيث الأشكال التي اتخذها أو الزخرفة التي كان يحظى بها، فنجد في مساجد أحياء قصبة مدينة الجزائر شكلين من المحاريب، الشكل النصف الدائري والشكل المضلع، فالمحاريب ذات الشكل المضلع نجدها بسبع تضليعات في مسجد سيدي عبد الله، أما المحاريب النصف دائرية فنجدها في مسجد سيدي محمد الشريف وكلا المحرابين بشكليهما بسيطان جدا، تعلوهما عقود نصف دائرية وحدوية، ولا يكتنفها عمودان من الجانبين، رغم أن المساجد العثمانية أغلبها تحتوي على هذه الخاصية، أن وجود محاريب نصف دائرية يجعلنا نفكر مباشرة في التأثير العثماني على هذا العنصر المعماري، لكن هذا الاعتقاد يرتابه نوع من الشك إذا علمنا أنه بالإضافة إلى الشكل المضلع الذي كان سائدا بالجهة الغربية من المغرب الأوسط فان الجهة الشرقية منه تحتوي على مساجد بها محاريب ذات حنيات نصف دائرية مثل الجامع والمصلى الموجودان بقلعة بني حماد، والجامع الكبير بقسنطينة الذي يعود إلى القرن 6هـ/12م، ضف إلى ذلك الجامع الكبير بالجزائر، وسواء كان الأمر تأثيرا عثمانيا أو استمرار لتقليد كان سائدا، فان الوجود العثماني هو الذي أعاد هذا الشكل من المحاريب إلى الواجهة المعمارية.

ولا بد لنا من الإشارة إلى أمر آخر، وهو استعمال المحاريب المضلعة مثل سيدي عبد الله، ولقد أدى هذا المزج إلى ابتكار تركيبة معمارية جذابة وأنيقة في آن واحد، إلا أنها تفتقر إلى الجانب الزخرفي.

–تستعمل الأعمدة كوسيلة للدعم في الأماكن التي يقل الضغط بها كما يمكن لها أن توجد جنبا إلى جنب مع الدعامات حتى تساعدها في حمل الثقل من جهة، وتجميل المكان من جهة أخرى، وأغلب مساجد مدينة الجزائر وظفت هذا العنصر المعماري في رفع ثقل سقفها، لذلك نجدها عامة داخل بيوت الصلاة، وهذا ما لمسناه في مساجد الأحياء.

– ظهر التسقيف المستوى في مساجد أحياء قصبة مدينة الجزائر وذلك بالمساجد القائمة على الأعمدة بحيث نجده بكلا المسجدين المدروسين على شكل أوتاد خشبية منتظمة متشابهة للتي نجدها بمنازل هذه الفترة، وهي بسيطة جدا وخالية تماما من الزخرفة وبعيدة كل البعد عن التسقيف الذي كان سائدا بالمغرب الإسلامي الذي امتاز بزخارفه الرائعة.

– أما العناصر الزخرفية ومواد تنفيذها فهي تكاد منعدمة بالمساجد المدروسة، إلا على البلاطات الخزفية.

– المظر الخارجي للمساجد يوحي ببساطة لا تخلو من التناسق والأناقة رغم خلو واجهاتها من الزخرفة، هذه الواجهات مغطاة كلية بالجير، ولا تظهر منها أية مادة للبناء، تحتل بعض النوافذ جدرانها.

خاتمة:

في الأخير نستخلص أن الوجود العثماني بمدينة الجزائر غير الكثير من الخصائص المعمارية التي كانت سائدة بالمغرب الأوسط، ويجب التأكيد أن هذا التغير ليس تأثيرا عثمانيا بحتا بقدر ما هو مزيج وابتكار في آن واحد، واتضح أن هناك ارتباطا وثيقا بين الطراز السائد في الجزائر والطراز المغربي والعثماني، من خلال التخطيط وكذا الوحدات والعناصر المعمارية والفنية ولهذا فان مباني مساجد الأحياء بقصبة مدينة الجزائر تعتبر إضافة جديدة ومساهمة كبيرة في الحضارة العربية الإسلامية في مجال العمارة والعمران، يجب المحافظة عليها.

المراجع البيبليوغرافية

المراجع باللغة العربية:

- ابن منظور، **لسان العرب**، ج4، طبعة بولاق،، ط18، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والإنشاء والنشر، القاهرة، 1900
- أبو الحسن بن عبد الله العسكري، **كتاب التصحيف والتحريف وشرح ما يقع فيه**، ج1، القاهرة، 1808
- أبو القاسم محمد الحفناوي، **تعريف الخلف برجال السلف**، ط02، المكتبة العتيقة، تونس، 1985
- حسن مؤنس، "**المساجد**"، عالم المعرفة، عدد37، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1981
- الزركشي، **إعلام الساجد بأحكام المساجد**، ، تحقيق أيمن صالح شعبان، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995
- سعد الله أبو القاسم، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998
- عبد العزيز فيلالي ، **تلمسان في العهد الزياني** ، ج1 ، موفم للنشر والتوزيع ، الجزائر، 2002
- علي بن أحمد بن موسى، **ربح التجارة ومغنم السعادة فيما يتعلق بأحكام الزيارة**، مخطوط تحت رقم 3251، المكتبة الوطنية بالحامة، الجزائر

- محب الدين مرتضي الزبري، **تاج العروس**، تحقيق علي يسرى، دار الفكر، بيروت، 1994

- ياسين بودريعة، أوقاف **الأضرحة والزوايا بمدينة الجزائر وضواحيها خلال العهد العثماني من خلال المحاكم الشرعية وسجلات بيت المال والبايلك**، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر02، السنة الدراسية 2007/2006

المراجع باللغة الأجنبية:

- Aumerat, « **La propriété urbaine à Alger** », in revue africain, n 41, office des de publications universitaires, Alger, 1897

- Berque (A), **L'Algérie terre d'art et histoire**, Alger, 1937

- Colin (G), **Inscriptions arabes et turques de l'Algérie**, I, département d'Alger, Paris 1901

- Devoulx (A**), Les édifices religieux de l'ancien Alger**, Alger (S.D.)

- Haedo (D), **Topographie et histoire générale d'Alger**, Edition Bouchene, 1998

- Klein (H), **Feuillets d'el-Djezair**, v03, éditeur Alger ,1912.

- Shaw (T), **Voyage dans la régence d'Alger**, Paris, 1830

- Venture de Paradis, **Alger au XVIII éme siècle**, édité par E. Fagnan, Alger, 1898

.

*